مجلة المعجمية - تونس

ع 14-15

1999

موقف المعجم العربي المعاصر من ترتيب الدلالات

بحث :حـلام الجيلالـي

إذا كان الرّصيد المفرداتي في المعجم اللّغوي، يستوجب ترتيبا معيّنا للمداخل : ألفبائيا أو موضوعيا، فإنّ تعريف أيّ مدخل من تلك المداخل يفرز بالضرورة عددا من الدلالات المتباينة، وذلك سواء على مستوى نوع المعنى أو مجال الاستعمال أو مستواه الفصاحي. ويفرض هذا تقنية خاصة لمعجمة تلك الدلالات تماشيا مع الأهداف العلمية والتربوية للمعجم.

وتتناول هذه الدراسة ترتيب الدلالات في المعاجم العربية المعاصرة، وتخصّ بالمعالجة طرائق الترتيب، وموقف المعاجم اللغوية من استثمارها أثناء تعريف المداخل.

لقد أثار قضية ترتيب الدلالات في المعجم كثير من المعجميّين - قدماء ومحدثين ومعاصرين - فاقترحوا عددا من الطرائق للتّصنيف والترتيب، سواء على مستوى التأسيس النظري أو على مستوى الإجراء التطبيقي. ولعلّ أهمّ هذه الطرائق هي :

أ) - إدراج المعنى الحقيقي قبل المعنى المجازي، وقد حاول تطبيق هذه الطريقة الزمخشري (ت538 هـ/1144م) في معجمه أساس البلاغة، فسعى إلى إفراد المجاز عن الحقيقة(1). كما ذهب إلى ذلك أصحاب المعجم الوسيط (2).

ب) إدراج الدلالة اللغوية، أو المركزية قبل الدلالة السياقية والاصطلاحية، على غرار ما نادى به الخوارزمي الكاتب (ت. حوالي 387 هـ/ 997م) في معجمه المختصّ

(1) الزمخشري، أبو القاسم : أساس البلاغة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1385هـ/ 1965م، ص ص 7-8.

(2) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ط. 2، مطابع دار المعارف بمصر، القاهرة، 1973، المقدمة، ص 11.

مفاتيح العلوم(3)، والجرجاني الشريف (ت816 هـ/1413م) في التعريفات(4)، وأكثر أصحاب المعاجم اللغوية الحديثة والمعاصرة، باعتباره طريقة مقاسية (Standard) عامة، كما سيأتي.

جـ) - إدراج المعنى الأكثر شيوعا وشهرة، قبل المعنى الأقل شيوعا، أو تداولا، بحيث يصبح معيار الاستعمال هو المقياس لترتيب الدلالات. وقد حاول هذا الترتيب معجم الأكاديمية الفرنسية(5)، ومعجم (D.F.C.) لجان ديبوا (J. Dubois)ورفاقه(6).

د) - إدراج المعنى الأقدم قبل المعنى الحديث أو المعاصر، وهو معيار تاريخي، يعتمد اللفظ القديم تأثيلا أو دلالة. وتتجلى هذه الطريقة في أثر المعاجم التأثيلية التاريخية مثل مشروع المعجم التاريخي للمستشرق الألماني أوغست فيشير (A. Fischer) المتوفّى سنة 1949م (7)، ومشروع المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومعجم روبير الصغير (P.R) لآلان راي (A.Rey) وآخرين(8).

هـ) - اعتماد المعنى المجرّد قبل المعنى الحسّي، أو العام قبل الخاص أو العكس، وهو معيار منطقي أرسطي، حاولت اعتماده كثير من المعاجم الحديثة والمعاصرة، على غرار المعجم الوسيط الذي ينص في مقدمته على تقديم المعنى العقلي والحقيقي على المجازي(9).

وإذا نحن حاولنا مناقشة هذه الطرائق في ضوء ما استقرت عليه بعض البحوث والدراسات المعجمية، تبيّن لنا أنّ إجراءات تطبيق تلك الطرائق في المعاجم التي ظهرت فيها، ليست في مستوى واحد ؛ فقد تكون طريقة الانتقال من الحقيقة إلى المجاز مجدية في معجم آني، يتوفر على الحقائق التاريخية والتطوّرات الدلالية للألفاظ، وقد تكون غير

(3) الخوارزمي، الكاتب، أبو عبد الله محمد: مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) ص 2.

(4) الجرجاني، (الشريف): التعريفات، الدار التونسية للنشر، تونس 1971.

(5) Dictionnaire de l'Academie française. Hachette, Paris, 1979.

(6) Dubois. Jean, et al : Dictionnaire du français contemporain, Paris Larousse 1966.

(7) نصّار حسين : المعجم العربي، نشأته وتطوّره، ط.2، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1968، 2/ 737. وانظر : عبد السميع، محمد أحمد : المعاجم العربية، دراسة تحليلية، ط.4، دار الفكر العربي، 1984، ص 195.

(8) Le Petit Robert, Dictionnaire de la Langue française, Paris, Le Robert. 1991.

(9) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ص 4

مجدية إذا لم يتوفّر لها ذلك.

كما قد تكون طريقة الانتقال من الأقدم إلى الأحدث أكثر نفعا عند توفر المعطيات التأثيلية، ولاتكون كذلك عند انعدامها، ومثل ذلك يقال عن الانتقال من الدلالة الأكثر شهرة أو استعمالا إلى الدلالة الأقل استعمالا، عندما تتوفّر معطيات ميدانية لمسار التداول المفرداتي وعند انعدامها.

ولعل أكثر الطرائق تداولا بين المعجميّين في ترتيب الدلالات، هي الطرائق (جـ، د، هـ) السالفة الذكر(10). ويذهب في هذا الصدد آلان راي (A.Rey) إلى انتقاد الطريقة (جـ) التي تعتمد معيار كثرة الاستعمال، ويرى أن هناك طريقتين فحسب هما (د، هـ) ؛ أي طريقة الانتقال من المعنى الأقدم إلى المعنى الأحدث ظهورا، أو الانتقال من المعنى المجرد إلى المعنى المحسوس، أو من العام إلى الخاص، حسب المنطق السائد للأشياء، ويحبّذ من بينهما المعيار التاريخي ويطبّقه في معجم «روبير الصغير» الذي أشرف على تحريره. وذلك على أساس أن المعيار التاريخي أكثر الطرائق نجاعة في تجنّب الأخطاء، وهذا دون أن يهمل المعيار المنطقي عند عدم توفر المعطيات التاريخية والتأثيلية(11). وبهذا ضيّق من مجال طرائق ترتيب الدلالات في المعجم اللغوي إلى طريقتين فقط.

و انطلاقا من هذه المعطيات النظرية يمكننا تتبّع تقنيات ترتيب الدلالات في المعاجم العربية المعاصرة، ولا شكّ في أن المعاجم العربية المعاصرة قد أولت اهتماما لقضية الترتيب الداخلي للدلالات على خلاف المعاجم القديمة، بل والحديثة؛ غير أن هذا الاهتمام يتفاوت من معجم إلى آخر.

فالمعجم الوسيط يصرّح باعتماد المعيار المنطقي في الترتيب، وينصّ في المقدمة على «تقديم المعنى الحسّي على المعنى العقلي»(12)، ومثله المحيط، الذي ينصّ على الالتزام بهذه الطريقة مع المحافظة على ما اشتهر في المعاجم القديمة؛ فقد جاء في المقدمة : «وشرحنا المعاني المختلفة للمفردة، انطلاقا من الحسّي إلى العقلي، ومن الحقيقي إلى المجازي، دون إخلال بما جاء في المعاجم القديمة، مع إضافة المعاني الجديدة، بأسلوب واضح دقيق . . .»(13).

---

(10) Dubois, J. et Cl. : Introduction à la lexicographie Paris la Rousse, 1971. p. 88.

(11) Le Petit Robert. op.cit, p. XIII

(12) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ١٤.

(13) اللجمي، أديب وآخرون : المحيط، معجم اللغة العربية، دار المحيط، باريس، 1993، ص2.

ويذهب صاحب الرائد إلى اعتماد معيار الشهرة وكثرة الاستعمال، بالانتقال من الأهمّ إلى المهمّ، يقول : «وقدّمت من المعاني الأهمّ على المهمّ، وقرّبت المعاني المتشابهة، بعضها من البعض الآخر، عملا بهدي المنطق»(14).

أمّا المعاجم الأخرى كالمعجم العربي الحديث والقاموس الجديد والمعجم العربي الأساسي، فلم تنصّ على أي ترتيب للدلالات في مقدماتها. على أننا نجدها تجنح في إجراءاتها التطبيقية إلى الترتيب المنطقي مرّة وإلى الانتقال من الدلالة اللغوية أو المركزية، إلى الدلالة السياقية أو الاصطلاحية مرة أخرى.

وباستقراء بعض العينات من النماذج المعجمة، يتّضح لنا أنّ المعاجم العربية المعاصرة لا تكاد تلتزم بطريقة محددة ؛ فقد تسلك الطريقة المنطقية دون اتخاذ منهجية مدروسة، وقد تتّبع طريقة تقليدية حرّة، وأحيانا تمزج بين عدّة طرائق، مما يجعل الترتيب لا يستقيم، كما في محاولة المزج بين الطريقتين المنطقية (من الحسّي إلى العقلي)، والطريقة الدلالية (من الحقيقي إلى المجازي)، كما يتّضح من الجدول التالي :

المعجم / المدخل	المنجد	الوسيط	الحديث	الرائد	القاموس	الأساسي
الجبر (15)	إصلاح مذهب كبْرٌ علمَ (ريا)	شجاع عود مذهب علم (ريا)	إكراه شجاع إصلاح عود مذهب علم (ريا)	إصلاح عودٍ كبْر شجَاع ملك عبد علم (ريا)	إكراه إصلاح علم (ريا)	إكراه مذهب علم (ريا)
المجموع	**4**	**4**	**6**	**7**	**3**	**3**

جدول 1

(14) مسعود، جبران : الرائد، ص.ك، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ص ك.

(15) ينظر : معلوف، لويس : المنجد في اللغة والاعلام، ط. 21، دار المشرق، بيروت، 1973، ص 78 ؛ مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ص 105 ؛ الجرّ، خليل : المعجم العربي الحديث لاروس، مكتبة لاروس، باريس، 1987، ص 47، جبران : الرائد، ص 420 ؛ ابن هادية وآخرين : القاموس الجديد للطلاب، الشركة التونسية للتوزيع. تونس، 1979، ص 1409، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : المعجم العربي الاساسي، باريس، مطبعة لاروس، 1989، ص 220.

ويتّضح لنا من دراسة الجدول، مبدئيا، أن المعاجم العربية المعاصرة لا تتساوى من حيث عدد الدلالات المسجلة للمدخل (جبر). ففي الوقت الذي يثبت فيه الرائد سبع دلالات، والحديث ستّ دلالات، يكتفي كل من من المنجد والوسيط بأربع دلالات ، ولا يثبت كلّ من القاموس الجديد والأساسي سوى ثلاث دلالات.

ولا تكاد تتّفق المعاجم المذكورة حول الدلالات المثبتة. فهناك دلالة واحدة فقط تشترك في ذكرها كل المعاجم وهي (الجبر كمصطلح من علم الرياضيات)، وتظهر دلالة (إصلاح الشيء) في خمسة معاجم، ودلالة (العود يُجْبَرُ به) في ثلاثة معاجم ومثلها دلالتا (الشجاع والإكراه)، ودلالة (مذهب نفي الاختيار) في أربعة معاجم، ودلالة (الإكراه) تصدّرت في كلّ من الحديث والقاموس والأساسي، بينما يفتتح كل من المنجد والرائد بدلالة (الاصلاح)، وينفرد الوسيط بالابتداء بدلالة (الشجاع)، وهي دلالة عقلية مجردة تخالف ما اشترطه على نفسه في المقدّمة، في مقابل دلالة (العود يجبر به) وهي دلالة حسية، ويأتي ترتيبها في الدرجة الثانية.

ونخلص من هذا النموذج إلى أن المعاجم العربية المعاصرة لا تلتزم في ترتيب الدلالات بطريقة معينة في جميع الحالات.

وإذا استثنينا ظاهرة التفاوت بين المعاجم العربية المعاصرة في عدد الدلالات المثبتة، فإن هذا استثناء لا يعفينا من التساؤل عن الطريقة التي تمّ بها جمع الرصيد الدلالي للمفردات، لما بين طريقتي الانتقاء والترتيب من تلازم.

ففي مدخل (عقدة)، [انظر جدول 2] نجد المنجد في اللغة يثبت عشر دلالات والوسيط ستّ عشرة دلالة والمعجم العربي الحديث عشرين دلالة، ويثبت كلّ من الرائد والقاموس الجديد أربع عشرة دلالة والمعجم العربي الأساسي سبع دلالات.

وقد جاء ترتيب أهم الدلالات المشتركة في المعاجم المذكورة على النحو التالي *:

- بمعنى الولاية :
- أ(1)، ب(7)، جـ(1)، د(+)، هـ(3)، و(5).
- بمعنى موضع العقد :
- أ(+)، ب(1)، جـ(11)، د(1)، هـ(2)، و(1).
- بمعنى الوثاق :
- أ(5)، ب(5)، جـ(7)، د(2)، هـ(1)، و(5).

* الحروف إشارة إلى المعجم والاعداد إشارة إلى رتبة الدلالة في المعجم.

بمعنى وحدة قياس أو سرعة :

- أ(9)، ب(4)، جـ(20)، د(14)، هـ(10)، و(3).

بمعنى عقدة نفسية :

- أ(0)، ب(15,3)، جـ(16)، د(8)، هـ(14)، و(7).

بمعنى عقدة أوديب وإلكترا :

- أ(5)، ب(16)، جـ(17)، د(5)، هـ(5)، و(4,5).

المعجم / المدخل	-أ- المنجد	-ب- الوسيط	-جـ- الحديث	-د- القاموس	-هـ- الرائد	-و- الأساسي
عقدة (16)	الولاية البيعة الكلأ موضع ع توثيق الإحكام سكون غ أصل ل وحدة ق فلك	موضع ع موضع ن ع نفسية وحدة ق توثيق جماعة ولاية لكنة عقار كلأ إحكام غموض عثم سكون غ ع . نفسية ع . أوديب	الولاية جماعة بيعة ضيعة عقار موضع ع توثيق بلاغ إحكام خصب عثم كلأ سكون غ لكنة فلك ع . نفسية ع . أوديب طبّ تشريح وحدة ق	موضع ع توثيق جماعة ولاية لكنة عقار إحكام ع . نفسية بلاغ صيغة ملك كلأ الأرض وحدة ق	توثيق موضع . ع ولاية بيعة إحكام عقار ضيعة بلاغ/ كفاية كلأ وحدة ق لكنة غموض سكون غ ع . نفسية	موضع . ع موضع . ن وحدة ق ع . إلكترا ع . أوديب لكنة ع . نفسية
المجموع	10	16	20	14	14	7

جدول 2

(16) انظر : المنجد ص 519، والمعجم الوسيط، ص 614، والمعجم العربي الحديث، ص 848، والقاموس الجديد، ص 687. والرائد ص 1039، والمعجم العربي الاساسي، ص 854.

وهكذا يتبيّن لنا أن تسجيل الدلالات في المعاجم العربية المعاصرة يبرز تباينا كبيرا، فلا نكاد نقف على منهجية معينة، سواء من حيث العدد أو من حيث الترتيب ؛ فباستثناء بعض الدلالات، كدلالتي (موضع العقد) التي تتصدّر الوسيط والقاموس الجديد والأساسي، ودلالة (الولاية) التي تتصدّر المنجد والمعجم العربي الحديث، لانكاد نلمس اتفاقا في ترتيب الدلالات الأخرى، فالمنجد يختتم بدلالة (الفلك)، والوسيط والرائد والأساسي بدلالة(العقدة النفسية)، والحديث والقاموس الجديد بدلالة (وحدة لقياس السرعة).

وإذا حاولنا التثبّت من المنهج المنصوص عليه في كلّ من الوسيط والرائد، وجدنا دلالات : (التوثيق، الكلأ، الاحكام)، تأتي متأخّرة عن الدلالات : (عقدة نفسية، ووحدة قياس) مع أن الأولى حسية والثانية عقلية مجازية.

كما أن الرائد يؤخّر دلالات : (إحكام، وحدة قياس، عقدة نفسية) وهي أكثر شهرة واستعمالا من دلالات: (ولاية، عقار، كلأ، كفاية، الرجل) وغيرها، وبذلك يبقى القصد غير واضح؛ فما تقديم الأهمّ على المهمّ ؟

أما بالنسبة إلى ترتيب الدلالات في الأفعال، فإن المنهج القاضي بتقديم حالة لزوم الفعل على تعدّيه، كثيرا ما يتعارض مع طريقة الانتقال من الحسي إلى العقلي ومن الحقيقي إلى المجازي كما يتّضح من الأمثلة الآتية (17) :

1) - فتح بين الخصمين : قضى.

2) - فتح عليه : أرشده وهداه.

3) - فتح المغلق : أزال إغلاقه.

4) - فتح الكتاب : نشرطيّه.

5) - فتح الطريق : هيّأه.

فيتضح من المثالين (2،1) أن الدلالة العقلية والمجازية قد صاحبت لزوم الفعل. وبذلك جاءت قبل الدلالة الحسية مع الفعل المتعدّي في (5،4،3)، وهذا يعني أن التعارض موجود بين الطريقتين، إذا حاولنا تطبيقهما في آن واحد ؛ لأن الفعل اللازم لا يكون بالضرورة دائما حاملا لدلالة حسية، كما لا يكون المتعدّي حاملا لدلالة عقلية أو مجازية بالضرورة.

وقد عانى الزمخشري في أساس البلاغة من هذه القضية ولم يستقم له الأمر إلا

(17) مجمع اللغة العربية : الوسيط، ص671.

في حالات قليلة (18) ؛ لأن ذلك يتطلب تأثيلا وتأريخا كاملين لأنواع الدلالات، وهذا لا يتأتى إلا للمعاجم التأثيلية.

وقد وجّهت لهذه الطريقة انتقادات عديدة، وبخاصة ما كتبه ابن الطيب الشرقي (ت 1170هـ / 1756م) حول القاموس المحيط للفيروزابادي(19)، وأحمد فارس الشدياق (ت 1305 هـ/1887م) في كتابه الجاسوس على القاموس، حيث يقول : «ومما أحسبه من الخلل أيضا : تقديم المجاز على الحقيقة، أو العدول عن تفسير الألفاظ بحسب أصل وضعها، مثل ذلك لفظة (كتب)، فإن الجوهري ابتدأ هذه المادة يقول : (الكتاب معروف)، وصاحب القاموس بقوله: (كتب كتبا وكتابا : خطّه)، ومثله صاحب المصباح والزمخشري. مع أن أصل (الكتب) في اللغة للسقاء. يقال : كتب السقاء، أي خرزه بسيرين، وهو معنى الضمّ والجمع، ومنه الكتيبة للجيش. ثم نقل هذا المعنى إلى كتب الكتاب.. وحقيقة معناه : ضمّ حرف إلى حرف . . .» (20).

ويتضح من هذا النصّ أن قضية فصل الدلالات الحقيقية عن الدلالات المجازية أمر عويص في معجم غير تأثيلي، وعلى الرغم من تمثّل الشدياق لإمكانية الفصل بينهما، والوقوف على أقدم دلالة، فإن ذلك لا يتحقق دائما؛ فقد يتمّ الانتقال من الحقيقة إلى المجاز وقد يتمّ عكس ذلك تماما، أي من المجاز إلى الحقيقة بعد اختفاء أصل الوضع؛ أو من العقلي إلى الحسّي أو من الخاص إلى العام، وفي جميع الاتجاهات.

ولعل هذا ما أدّى إلى ظهور خطل هذه الطريقة في جميع المعاجم التي حاولت تطبيقها. وقد ذهب أولمان (S. Ullmann) في هذا الصدد إلى الاعتقاد بخرافة المعنى الأصلي، ورأى أنه «عندما قاوم الباحثان أوجدن وريتشاردز الفكرة القائلة : إن الكلمات لها معنى واحد وأساسي محدّد [حقيقي]، كانا في الواقع قد قاما بثورة في علم المعنى، وفتحا آفاقا واسعة في اتجاهات مختلفة، ولو أنهما - من وجوه أخرى - قد أسرفا في الانطلاق حتى جاوزا الحدّ المعقول»(21).

---

(18) الجيلالي، حلام : المعجمية العربية الحديثة، دراسة في المعجم الوسيط : رسالة ماجستير مرقونة، بمعهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 1992، ص 277.

(19) الشرقي، محمد بن الطيب إضاءة الراموس وإضافة الناموس على إضاءة القاموس تحقيق عبد السلام الفاسي والتهامي الراجي، وزارة الاوقاف، الرباط، 1983، ص 277.

(20) الشدياق، أحمد فارس : الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب، القسطنطنية، 1299 هـ، ص 11.

(21) أولمان، ستيفن : دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، 1969، ص 216.

وأما بالنسبة إلى طريقة الانتقال من المعنى الأوسع انتشارا، أو من الأهمّ إلى المهمّ، كما جاء في مقدمة خليل الجرّ، فإن الأمر لا يخلو من الصّعوبة، سواء فيما يتصل بأنواع المجالات المعرفية، أو ما يتصل بالبيئات المختلفة للّغة، كما هو الشأن في البيئة العربية الواسعة.

ولعل هذا ما حدا ببعض المعجميين إلى انتقاد طريقة الشهرة أو كثرة الاستعمال، فقد أشار آلان راي (A.Rey) إلى أن الانطلاق من الأكثر استعمالا عمل مستحيل في الواقع ؛ لانعدام المعطيات العلمية الدقيقة (22)، وهو من ضمن الانتقادات التي وجّهت إلى معجم الأكاديمية الفرنسية الذي سلك هذه الطريقة معتمدا على نسبة تردّد الدلالات بين المتكلمين للغة.

ونخلص مما سبق إلى أن قضية ترتيب الدلالات في المعاجم العربية المعاصرة، في حاجة ماسّة إلى معايير تقنية تستثمر طريقة من طرائق الترتيب أكثر فعالية وملاءمة لخصوصيات اللسان العربي، ويبدو أن الطرائق الأكثر نجاعة في هذا الصدد هي :

أ) الطريقة التأريخية التأثيلية، وفيها يتم الانطلاق من الدلالة الأقدم أو الأصل التأثيلي للكلمة المدخل ثم يُتدرّج من الأقدم إلى القديم، فالحديث فالمعاصر، حقيقة أو افتراضا.

ب) الطريقة اللغوية الاصطلاحية، وفيها يتمّ الانتقال من الدلالة اللغوية العامة أو المركزية وفق الحكم المنطقي للأشياء، إلى الدلالات السياقيّة فالاصطلاحيّة، حسب مجالات الاستعمال العامة، وهي طريقة ميسورة ومطبّقة - في بعض حالاتها - في المعاجم العربية المعاصرة.

جـ) طريقة الشهرة والمعاصرة، وفيها يتمّ الانتقال من الدلالات الأكثر استعمالا أو شهرة آنيا إلى الدلالات الأقل استعمالا أو شهرة، أو التي ظلّت مرتبطة بنصوص قديمة، ولم تتداولها الحياة المعاصرة، ويتمّ ذلك وفق إحصاءات لنسبة تردّد الدلالات.

حلام الجيلالي

جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

(22) Le Petit Robert op.cit., p.XIII.